الاستعمار يموت !

من حكايات الريف أن طماعًا من ذوي المكر والخديعة كان يدير عزبة لشاب من أهل البيوت الكريمة، فكان يحول دائمًا بينه وبين المجيء إلى العزبة بما يلقيه في روعة من فتك الذباب والبعوض، وسطو القتلة واللصوص، حتى شب جاهلاً بأمور المزرعة، لا يميز الحمار من البغل، ولا يفرق بين القمح والرز. وكان الناظر الخبيث يقدم إلى المالك الطيب في آخر كل عام ميزانية مفصلة بالوارد والمنصرف لا يغادر منهما كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، فكان ذلك يزيد في ثقة الفتى به ويحمله على الاستنامة إليه. وكان يقيد عليه فيما يقيد مائتي جنيه كل سنة ثمنًا لكذا بُلغًا للجمال [1] فيقرأ الشاب هذا الرقم فلا يشك في أن الجمل ينتعل البلغة كما ينتعل الحصان الحدوة. واستمرت الحال على ذلك أعواماً حتى نضج عقل الفتى وازداد علمه، فسأل نفسه وسأل الناس: لماذا تنفرد الجمال بانتعال والبلغ دون البقر والجاموس؟ ثم انتهى به التفكير والمعاينة إلى أن في الأمر جريمة. فدعا الناظر إليه وقال له في إنكار وتعجب:

يا فلان ! إني علمت أن الجمال لا تلبس البلغ فكيف...

فقاطعه الناظر وقال في استسلام وأسف: الله ! أنت عرفت أن الجمال لا تلبس البلغ؟ الآن انقطع عيشي من عندك. ولن أخدمك بعد اليوم !.

كذلك فعل الاستعمار بالشرق ! حجب عن عينه النور وعن عقله المعرفة. ثم استقل دونه بأمره وخيره. فاحتجز أكثر أمواله لنفسه ثم قيدها في الميزانية أثماناً لنعال الذهب للجمال، وعمائم القصب للبغال، وفساتين الحرير للبقر ! وما كانت الجمال ولا البغال ولا البقر إلا بنيه وموظفيه من بريطانيا وفرنسا وهولندة، حتى كشف الله الغفلة عن عيم الشرق فرأى المستعمر تحت سلطان الحماية والوصاية والاحتلال والانتداب يعبث في أرضه بالفساد، ويبذر في رزقه بالسفه، فصاح به من كل جانب في أفريقيا وآسيا أن أخرج أيها اللص بالرضا وإلا خرجت بالكره !.

---

(1) البغ جمع بلغة وهي ضرب من الأحذية غليظ النعل والجلد ولا عقب له.

فحاول الماكر أن يجعل السرقة شركة والمخلفة محالفة، ولكن وعينا كان أقوى من مكره، وعزمنا كان أنفذ من تصميمه. والسكتة الناطقة التي سكتها الشرق مع مصر يوم الإضراب الشامل ساعة افتتح اللصوص مؤتمر لندن كانت أقتل للاستعمار، من بأس الحديد وقوة النار !.